في وداع أمي ... كان صوت بداخلي يبكي لم أستطع أن أكتم صراخه

طوباكِ أيتها النفس .. أيتها النفس التي خرجت من العالمِ .. طوباكِ لقد خرجتِ من هذهِ الدار، دار الخطايا والأشرار

تركتِ عالم الظلام، عالم الكرهِ والحسد والآثام فارقتِ عالم الأوجاع .. عالم الزيفِ والخداع.

اصعدي أيتها النفس .. اصعدي إلى داركِ الأولى ، دار الأثريين .. دار أهلكِ الطيبين

إلبسي بدلة الضياء والأريج، وأمسكي إكليلكِ البهيج .. واجلسي فوق عرشكِ الوقور ، الذي ثبته الحي في بلدِ النور .

" كنزا ربا ـ كتاب الصابئة المندائيين "*

بقلم : يحيى غازي الأميري

بألم وشجن عميق ودموع تدفقت من سويداء قلبي ودعتُ النفس الأخير لأمي، لترحل نفسها الطاهرة إلى بلد النور، دارها الأبدية، دارها الأولى.

ثلاثة أيام بلياليها مثقلة بالحزن، كانت هي المدة الأخيرة التي أسعفني فيها الرب وحالفني معها الحظ والوقت أن أشاهد فيها أمي، وأحضر توديعها وأكون قد أوفيت لها بوعدي بأني سوف أكون بالقرب منها، واحضر قبل وفاتها وأشارك في حمل جنازتها.

فقد قدمت موعد حجز تذكرة السفر من السويد حال سماعي خبر تدهور صحتها،طوال الطريق كانت تدور برأسي عشرات المواقف والذكريات وكلما أقترب تفكيري إلى لحظات لقاء أمي كانت تحاصرني الدموع، وتتقاطر عليّ صور تكرب القلب للوداع والموت...

العزيزية 15/تموز/2010 يظهر في الصورة د.جميل الزبيدي وهو يسجل ملاحظاته بعد أجراء فحوصاته لوالدتي،وبجاني يجلس صديقي سيد سعد الصميدعي.

كنت قد عزمت أمري وأكملت حجز تذكرة السفر للعراق كي أكون بالقرب من والدتي وتقديم ما يمكنني تقديمه لها من رعاية وعناية، كما وعدتها في الصيف الماضي الذي كنت قد قضيت بقربها 43 يوماً، كان صيف قائظ الحرارة ،كان حر الصيف فيها كسوط جلاد جائر، ثقيل،شديد في وجع آلمه ،بينما الجلاد يتلذذ بصراخ واستغاثة ضحيته، لم ننعم بتيار الكهرباء الوطنية إلا بحدود أربعة ساعات متقطعة خلال اليوم الواحد أي 4 من ساعات من 24 ساعة، في صيف قائظ لم تنزل فيه درجات الحرارة عن50 م، الكهرباء الوطنية حولت بحق إلى نقمة وطنية !

رغم طمأنتي من قبل الدكتور الفاضل الشهم جميل الزبيدي الذي زارها في البيت وفحصها وسجل ملاحظاته الطبية مشكوراً، وكذلك صديقي الحميم الدكتور سعد مجيد الياس الذي زارها أيضاً وقدم خدماته الطبية لها ومنذ عودتي للسويد 2010/8/22 بعد أن قضيت 43 يوما كما أسلفت، بقيت قلقاً جداً عليها.

في الصيف وقبل موعد انتهاء فترة إجازتي كنت قد قررت أن اخبر أمي بموعد سفري، وانتهاء أجازتي، وأني سوف أسافر بعد غد، حزنت، تساقطت الدموع من عينيها، وتكدر مزاجها، وبعد سفري بقي صوت استغاثتها وهي تناديني أن أبقى بقربها ، حتى تتعافى أو يأخذ الرب أمانته.

العزيزية 2010/8/21 أجلس قرب والدتي قبل يوم من موعد عودتي إلى السويد

- يمه يحيى لا تسافر أبقى جم يوم بعد.

وتصمت قليلاً وهي ترمقني بنظرة حزينة متوسلة ثم تكمل :

- يمه إبقالك جم يوم ... لو أصير زينة لو الله يأخذ أمانته.

صوتها لم يبرح ذاكرتي، بقيت قلقاً أتابع أخبارها هاتفياً يومياً، رتبت وضعي أن أسافر لها مجدداً وأبقى بقربها لمدة 40 يوماً إذ كانت صحتها تستدعي المزيد من الرعاية والعناية والوقوف بقربها إذ كانت قد تجاوزت الثمانين ونيف من السنين القاسية المريرة والمرعبة التي مرت على عموم من بقى في ارض العراق ، وكأنه خلق كي يبقى يعيش طوال حياته في رعب ووجع وآسى وأحزان وفي صراع أزلي مع الفواجع والأهوال ...

فحجزت بتاريخ 28 /11/ 2010 على أمل السفر يوم 12/8/ 2010 وعلى الخطوط الجوية التركية.لم يبقى لسفري إلا عدة أيام ،وعند اتصالي اليومي كي أطمأن على صحتها، هاتفت أبن أخي في العزيزية صباح يوم 2 /12 /2010، أخبرني أن صحة والدتي منذ مساء أمس بدأت تتدهور، ويفضل أن أعجل بالمجيء، جاءني الخبر كالصاعقة .

في مالمو منذ يوم أمس بدأ الثلج يهطل كالمطر بدون انقطاع، أسرعت إلى مكتب الحجز وبشق الأنفس قربت موعد السفر بعد إن دفعت مبلغ أضافي على بطاقة السفر، حصلت على مقعد ليوم 12/5 /2010 كان ذلك أقرب موعد تمكنت من الحصول عليه، حزمت حقائبي الساعة 12 ظهراً من يوم 12/5 فموعد أقلاع الطائرة الساعة الثالثة بعد الظهر، حملت حقائبي إلى محطة مالمو وأخذت القطار المتجه إلى مطار كوبنهاكن، السفر من مطار كوبنهاكن إلى تركيا ثم الانتظار بحدود 6 ساعات في الترانزيت بمطار"أتاتورك" في اسطنبول.

أكملت إجراءات الدخول بمطار بغداد بيسر، وحملت حقائبي إلى ساحة عباس بن فرناس، فوجدت على الموعد من ينتظرني بسيارته، إذ كنت قد اتصلتُ هاتفياً بصديقي النبيل محمود داود برغل في العزيزية قبل يوم من وصولي وطلبت منه أن يبعث لي بسيارة أجرة "تكسي" في موعد وصولي الذي حددته له، قبل انتصاف النهار ليوم 2010/12/6 وصلت العزيزية، دخلت غرفتها، أمي طريحة الفراش، هدوء وسكون رهيب يخيم على أجواء غرفتها، جثمت على ركبتي قبلت يديها جبينها وجنتيها فيما راحت الدموع كزخات من المطر تذرفها عيناي، يرافقها صوت نشيج يشق صدري.

العزيزية في 2010/12/6 صورة وأنا اقبل جبين أمي

جلست بجانبها وهي مسجية على فراش الموت وادعة كطيبة روحها تراقب كل شيء بعينها بصعوبة، عيناها ترقبني، عيناها كانت الوسيلة الوحيدة التي تعينها على الكلام، حيث سكت الكلام، تحدثت معها عدة مرات، حدثتها بكلمات تخالجها العبرات، أنزلت دمعتان من طرف عينيها وراحت تنحدر ببطء على

خديها، سحبت منديل ورقي من علبة بجانبي وجففت لها دموعها، كنت أحبس دموعي التي لا تريد أن تتوقف، فيما كان صوت بداخلي يبكي لم أستطع أن أكتم صراخه، فخرجت إلى فضاء الحديقة لعلي أخرج شيئاً منه.

في المساء جاء الدكتور الصديق الطيب إبراهيم الوائلي، فحوصات الدكتور أكدت أن وضعها صعب ودخلت مرحلة متقدمة بالخطر وعلينا التجلد بالصبر...

العزيزية مساء 2010/12/6 الدكتور إبراهيم الوائلي يجري فحوصات على والدتي.

ثلاثة أيام أمتزج فيها الليل بالنهار في كل لحظة منها كان لي موعد مع توديع نفسها الأخير، كنت أحبس أنفاسي مرعوباً وأنا احسب أنفاسها وأراقب شهيقها وزفيرها، عيونها تدور ترقبنا لا تفارقنا، عند نفسها الأخير بكيت كطفل صغير...

قبل أن ينبلج الفجر، جففت دموعي، أحضرت من حديقة الدار باقات من أغصان شجرة الآس وغصن من شجرة الزيتون وقناديل من الشموع، أوقدت الشموع، وذهبت لغرفتها وجلبت أحد الصور المعلقة على أحد جدرانها، منذ سنين طويلة وهي تضعها مع صور عديدة أخرى، في الجهة المقابلة لسريرها ،انتزعت الصورة من الحائط ووضعتها قرب الشموع وأغصان الآس وغص الزيتون أمام جسدها المسجى في صالة البيت، الصورة التي جلبتها التقطت في بغداد تعود إلى عام 1955 يظهر في الصورة " والدتي " هيلة شنان الزهيري" تحمل أخي فريد مواليد 1954 تقف بجانبها أختي حياة، أنا أجلس على ساق خالي " جلوب شنان، أبو وليد " رحمه الله ، وهو يرتدي بدله عسكرية "جندي مطوع صنف الطبابة العسكرية "

الصورة يعود تاريخها إلى عام 1955في بغداد/ والدتي تحمل بيدها أخي فريد غازي الأميري مواليد 1954وتقف بجانبها شقيقتي حياة واجلس أنا على ساق خالي جلوب شنان الزهيري

وقفت كالمصعوق وأنا أشاهد المواقف الأخيرة في التوديع لجثمانها الطاهر، وجع يحز بكبدي، وقفت كالمذهول، شريط سريع من الذكريات يدور برأسي لا يهدأ يرجع بي سريعا إلى عشرات المحطات إلى الماضي لصور نقشت عميقا بحافظة رأسي صور كثيرة لأمي، يسترجعها، ها أنا الآن استرجعها بسرعة صورة وهي تحمل جرة ماء تحملها على كتفها تجلبها من النهر، أمي ترتب وتنضد أفرشتها بعناية، مساءات عديدة أمي تغزل في خيوط الصوف، شتاءات قارصة عديدة مرت وهي تعد لنا الدفء من مواقد النار وتدثرنا بحنانها، هاهي أمي تزرع الحديقة بالريحان والورد تسقي نخلاتها أشجار رماناتها وشجيرات صغيرة من الآس فألتقط لها صورة فوتوغرافية، حبها للطيور والحيوانات الداجنه، قطتها الملونة الجميلة وهي تدللها بتحبب وتطلق عليها أسم " ريمه واحياناً رويمه " ، صور وهي تطعم أفراخ دجاجها ، إوزاتها " البط" ، صورة لنار التنور تلفح وجهها في صيف تموز العراق لتقدم لنا رغيف خبز معجون بمحبتها.

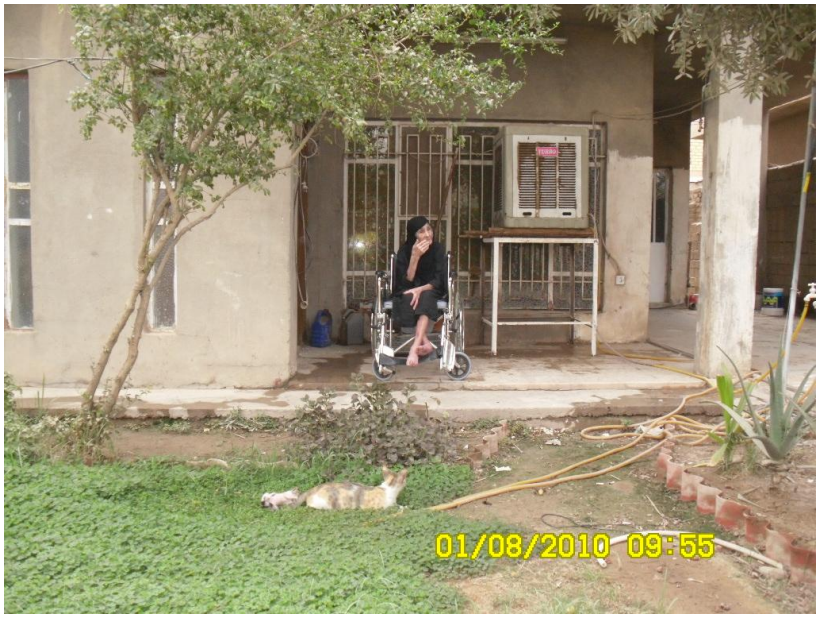

العزيزية 2010/8/1 في حديقة منزلنا والدتي تحدثني عن قطتها وأفراخها الجدد

وصور أخرى كثيرة للفزع والخوف الذي يتملكها من عسس الدولة وعيون رجالها كلما جمعنا اجتماع في البيت، أو اعتقل صديق أو قريب، صور وهي يتملكها الهلع عندما نخبئ الكتب والمجلات الثقافية اثر تدهور الأوضاع الأمنية والسياسية للبلد، لوعتها وعميق حزنها وهي تودعنا كل مرة لجبهات القتال في حروب ظالمة مرعبة عبثية فرضت علينا، تزاحمت الصور في رأسي صور كثير مرعبة مرت بها فكم أنتابها فيها الهلع ويتوقف قلبها كلما جاء طلب استدعاء من دائرة الأمن لأحد أبنائها أو قريب لها. صور صراخها وعويلها بصوتها الجنوبي المتهدج على أحبة غيبتهم السلطات الغاشمة في دهاليزها وأقبيتها السرية أو حروبها المدمرة الخائبة ،أو عبث العابثين عند سقوط عرش طاغية الطغاة وانفلات الأمن والأمان وغياب سلطة السلطة الجديدة وطغيان السلب والنهب والإرهاب!

العزيزية 2010/8/1 اجلس قرب والدتي في حديقة بيتها فالحر لا يطاق داخل المنزل

صور لفرحتها وسعادتها عند قدوم قريب ومحب لزيارتها، عطور ملابسها بخورها المتنوع، أعدادها للبن يومياً بواسطة قربة مصنوعة من أحد ثمار نبات الخضروات"الشجر" نوع من " القرع " أعدادها لبهارات الصبة ورائحته العبقة، زهدها، ورعها، حبها للجميع وتفقدها لأحوالهم، حبها لاغاني رياض أحمد ودموعها تنهال عند سماعها مواويله الجنوبية الحزينة، وهي تحتفظ بكل تسجيلات أغانيه،في خزانتها الخشبية، صورة لحزنها سبعة أيام على وفاته.

صورة أمي وهي تودع والدي وحزنها وحدادها الطويل والعميق عليه، وصورتها أخيرا عندما ودعتها في الصيف الماضي وهي تمسك بيدي وتتوسلني أن لا اتركها وأسافر، صور كثيرة التقطتها لها وأنا أستمع لقصصها وشكواها، وأخرى وأنا أقاسمها حر قيظ العراق صيف 2010 مع انعدام الكهرباء الوطنية وكأننا نعيش في بداية القرن العشرين.

العزيزية صباح 2010 /8/1 أنا ووالدتي وأبن حفيد والدتي البكر أمير بسام، نتقاسم حر الصيف والذي يبدأ دورته اليومية من الصباح حتى صباح اليوم التالي

صورٌ كثيرة مرت بسرعة البرق، ملابسها ، صبرها، بكائها،طيبة قلبها، الصور تدور وتدور في رأسي وغشاوة من الدموع تريد أن تحجب مشهد رؤيا التوديع الأخير لجسدها المسجى في النعش بجانب القبر، قبل أن ينهال التراب على جسدها النحيل الرقيق الذي لفه رداء النور الأبيض والذي أعدته وهيأته بمعرفتها منذ زمن طويل، ويلف الاثنين معاً لفائف من القصب والبردي والذي تم أعداده منذ الصباح الباكر حسب الطقوس الدينية المندائية.

العزيزية 2010/12/9 في صالة بيت والدتي، يظهر في الصورة يقف أمام جثمان والدتي المكفن بالبياض أربعة رجال دين مندائيين"حلالية " هم المكلفين بحمل الجنازة وأجراء مراسيم الدفن.

الاستعدادات الأخيرة، للدفن والوداع، وصلنا إلى المقبرة الخاصة بالصابئة كان قد سبقنا أولاد أعمامنا " نصرت جاسم الشاوي وجواد ساهي جبر " لتهيئة المكان وتكليف من يحفر القبر، كانوا بانتظارنا هناك ، عند وصولنا إلى مقبرة الصابئة المندائيين في أبو غريب/ بغداد، كان النهار ليوم 2010/12/9 قد أنتصف، وجدنا كل شيء جاهز، أنزلت الجنازة من فوق السيارة، ووضعت قرب القبر، بعدها أخرجت من التابوت الخشبي الذي نقلت بداخله، من دار المرحوم والدي في قضاء العزيزية / واسط.

هاهم الرجال الأربعة من الصابئة المندائيين " حلالية" ** المكلفين بحمل الجنازة وإتمام مراسيم دفنها، وهم في كامل ملابسهم الدينية البيضاء"الرستة" والذين حملواها ورافقوا الجنازة من العزيزية حتى مقرها الأخير. الرجال الأربعة " ثلاثة منهم أولاد خالنا المرحوم " جلوب شنان الزهيري" وهم كلاً من " خالد ، نبيل، صابر " والحلالي الرابع أبن أبنت عمتنا "سمير كعيد شذر"

وقف الرجال الأربعة وهم ملثمين يرتدون بدلات النور البيضاء" الرسته" *** ،ها هم يرفعون الجسد المسجى في النعش ،المصنوع من البردي والقصب وجريد سعف النخيل، النعش يلف والدتي التي اكتست بردائها النوراني الأبيض ومتزين جبينها بإكليل الآس" الإكليلة" البهيج ، ليودعوه في مستقره الأخير...

لحظات وسوف يواري جسد أمي الثرى أمسكت بكفي حفنة من التراب الطري من أحدى جوانب القبر رفعتها إلى فمي و لثمتها بحرارة من صميم قلبي ونثرتها بخشوع في القبر. لحظات ووقف الجميع وهم يرددون بصوت واحد صلاة المغفرة والرحمة " **رواها إد هيي** " على روحها الطاهرة.

09/12/2010 12:28

09/12/2010 12:34

بشميهون ادهيي ربي

لوفا ورواها إد هيي وشابق هطايي نهويلا إلهازا نشمثا الديلا (الملواشة) (شارت بث شارت سيمت) اد هازا مسقثا وشابق هطايي نهويلا

وترجمتها للعربية :

بسم الحي العظيم

المغفرة والرضا وغفران الخطايا تهدى لهذه النفس المقصودة (الاسم الديني) (شارت بث شارت سيمت) صاحبة هذا الثواب الذي أرجو له غفران الخطايا .

الصورة في مقبرة أبو غريب"الخاصة بالصابئة المندائيين" بتاريخ 2010/12/9 ويظهر في الصورة الرجال "الحلالية "الأربعة بكامل بملابسهم الدينية، المكلفين بمراسم حمل الجنازة وإجراءات الدفن لوالدتي **"هيلة شنان الزهيري، شارت سيمث بث سيمت "** وهم يقرؤون صورة الفاتحة بعد أتمام مراسيم الدفن ويقف بجانبهم ،وليد جلوب الزهيري، نصرت جاسم شاوي،كريم جلاب جوري.

الصورة في مقبرة أبو غريب الخاصة بالصابئة المندائيين،بعد أتمام مراسم دفن والدتي بتاريخ 2010/12/9 من اليسار حسن حسين الزماخ ,خالد جلوب الزهيري ،سمير كعيد الكلمشي، يحيى الأميري، نبيل و شقيقه صابر جلوب الزهيري ،سعد إسماعيل الصميدعي.

يحيى غازي الأميري

مالمو / السويد كتبت بتاريخ 26/ شباط /2011

هوامش وتعاريف ضرورية مكملة لمقالنا

*** الكنزا ربا : هو كتاب (الكنزا)، أو الكنز العظيم، أو السيدرا، هي جميعها أسماء لكتاب واحد ألا وهو الكتاب المقدس للصابئة المندائيين، وكنزا يكتب بالمندائية بالجيم وليس بالكاف وأثرنا على كتابته بهذا الشكل لان المندائيين ينطقون الجيم كاف . المصدر (أسماء الأعلام المندائية في كنزا ربا) ص2 وهو دراسة ماجستير في اللغات السامية (اللغة المندائية) ــ جامعة بغداد 1997 للأستاذ عبد المجيد سعدون الصباحي**

**** الحلالية : (مفردها " الحلالي " وهو شخص من عامة الصابئين طاهر طقسياً ومؤهل لحمل جثمان الميت وإجراء مراسيم الذبح والقيام بوظيفة المساعد (شكنده) ويمكن أن يحل محل " رجل**

الدين " الأصغر الترميذه في عقد الزواج إذا لم يتيسر وجود العدد الكافي من رجال الدين .) المصدر كتاب الصابئة المندائيون ط2 هامش الصفحة 78. علماً لقد كتبت في التعريف أعلاه كلمة "رجال الدين" بدل من كاهن كما وردت في الكتاب أصلاً لكونها أكثر دقة حسب اعتقادنا.

***** الرستة : ملابس دينية بيضاء يجب أن يرتديها الصابئي المندائي قبل قيامه بأجراء أي عمل أو طقس ديني. وورد تعريفها في كتاب من تأليف الترميذا الدكتور عصام خلف الزهيري، الموسوم (الدين الأول) أو مدخل إلى الدين المندائي، والصادر في سنة 2007 في الجزء الأول الصفحة 52 ما نصه :**

((الرستة : والكلمة تعني "رداء الحق ".هو الرداء الديني الذي يستعمله المندائيين في جميع الفعاليات الدينية . إن كلمة الرستة تعني الرداء النوراني الذي بدونه لا يجوز للمندائي الدخول لعالم النور بعد الوفاة. يكون قماش الرستة من القطن [89] النقي (الخالص) الأبيض وهناك نصوص [90] عديدة حول هذا الموضوع .

كان هذا الرداء هو الرسمي في الماضي، بمعنى إن المندائي كان يلبسه في جميع الأوقات. إن الرستة (وطريقة خياطتها وطريقة لبسها)مهمة للغاية طبقاً للمفاهيم المندائية))